

اثنان.. اثنان فقط!!

سماء علي الصباحي*

والسبعين-تسع مائة وألف.

باختصار هو الرقم المكرر ثلاث مرات في تاريخ ولادتي، والمدون في شهادة ميلادي.

اثنان..

هو ترتيب في العائلة.. لأختين فقط أكون الثانية كما كتبت لي الأقدار وطبعت على جبیني.

اثنان..

الترتيب الذي حافظت عليه خلال مراحل دراستي كلها: الابتدائية والمتوسطة والثانوية.

اثنان..

رقم الدفعة التي تخرجت فيها لتلتهمني وظيفتي التي رأني المجتمع من خلالها عضواً نافعاً فيه!

اثنان..

أنا والليل.. يحتوي بظلامه جسدي وعقلي وألمي وحيرتي، فأتذكر أنه كتب لي ذات مرة:

"أصبحت والليل صحاباً. سمري هو، وسهدي وسمائي التي تظلني. يُلقى بي في مجهوله وعتمه وصمته، ثم ينبج عن نداء غامض يصنعه خيط ضوء يئن مبدداً الظلمة..".

اثنان.. اثنان

من ارتبط بي وارتبطتُ به واستحوذ على حياتي ولم يدعني أعترف على بقية أفراد عائلته.

اثنان.. اثنان.. اثنان

هو اليوم الثاني، من الشهر الثاني، للعام الثاني

* قصة من اليمن.

اثنان..

منذ طفولتي وأنا أحس أن ثمة علاقة لا يدرك سرها الإنسان بينه وبين ما حوله من أشياء.. رغم أنه ابتكرها وتعايش معها لتصبح من بعد جزءاً مما لم يكن يتوقعه.

اثنان..

الرقم الذي عشت معه في وئام كامل ولم أنتبه لمصادفاته.. إلى أن التقيتك.

اثنان..

الرقم الذي لم أفكر به وأنا أفكر بك.. لم أعره أي انتباه وأنا أقع في حبك.. لم يؤرقني وأنا أعاني السهاد بسببك.. ولم يخفني وأنا ازداد تعلقاً بك.

اثنان..

وكما كنت أسميه في صغري، مجرد عصا ملتوية.. فهو يشبه تلك العصا التي يتوكأ عليها العجائز. ولم أكن أعرف أنه ينتظرني لأستند عليه أنا الأخرى، فيخذلني ويثأر مني بسبب سخريتي.

اثنان..

الرقم الذي غيبه فرحي من مفكرة عقلي، وأنت تفصح عن مكونات قلبك وتبادلني مشاعري وترغب في تتويج تلك المشاعر.

اثنان..

الأصوات التي كنت أسمعها بداخلي مؤيدةً

ومعارضةً لحبي لك:

- أمتأكدة من أنك تريدني؟!
- متأكدة..

باستتكار:

- رغم ارتباطه بحياة أخرى؟!
- نعم..

برجاء:

- تهدمين بيتاً..

- لم لا تقول أعماراً أخرى؟

بنفاد صبر:

- إفهمي معنى أنه ليس لك وحدك!

-

سعد الصوت لسكوت الآخر، وشعر بتأثيره عليه، فأضاف:

- ستكونين شريكة الشريكة..

يعود الصوت المغيب بنبرة أكثر ثقة:

- لا يهم، ما دام يحبني أنا..

- حرام عليك!

- أتحرّمون ما أحلّه الله؟!
- فكّري!!

- فكّرت وقرّرت.

اثنان..

لم أكن أدرك حينها أنني أدق بهذا الرقم وتداً على قلبي وأصيّره شاهدةً على قبر مشاعري.

اثنان..

الأذنان اللتان عشقتا كل ما يتصل بك وتحملتا كل ما ألتقاه عبرهما من إهانات وتقريع كوني مجرمةً في حق الأخرى وحق نفسي.

اثنان..

الفتحتان الواسعتان في أعلى الوجه، يلومني
كثير من نظراتها التي تراني دخيلة في حياتك ..
لكن ما ذنبي إن كنت أنت أول من سكن قلبي ..
من احتوى خلجاتي ..
.. من ضمته إلى صدري ..
وشاركني أحلامي؟!

اثنان..

الشفتان اللتان استطعنا حلو الحياة معك كنهر
اعتاد على جريانه بقرب أرضك الخضراء. اللتان
جفتا بعد أن ذاقنا مرارة الصمت وعلقم البوح.

اثنان..

اليدان اللتان تبثان عنك في عناق طويل،
وتضمانك بقوة كأم تخاف على طفلها من خطر
مجهول. من تمسحان دموع الرهبة من الآتي.

اثنان..

القدمان اللتان اعتادتا الركض نحوك حال
الإحساس بك خلف أكرة الباب.
من لا تقويان الآن على الوقوف أمامك أو
الابتعاد عنك.

اثنان..

لم أكن أبداً الأولى في جدول مواعيدك ..
مواعيدي معك هي التي تتأجل دائماً ..
مكالماتي هي التي يجب أن تنتظر ..

اثنان..

هناك دائماً من يسبقني إليك:
.. ظروفك أو
مسؤولياتك أو
.. عملك أو
حياتك السابقة أو
...
.. المرأة الأولى
.. المرأة الـ..

اثنان..

- لماذا تأخرت؟! ألا يكفيني أنك لن تأتي
اليوم؟!

- تعرفين.. كان يجب أن أنتظر حتى يهدأ من
في البيت.. وأكلمك بعدها بأريحية تامة.

- لم صمت؟!

بحنق أجبت:

- وما المفترض عليّ أن أقول؟! ألسنت زوجتك
أنا أيضاً؟!

بلطف أجاب:

- حبيبتي، تعرفين مكانك في قلبي.. هي بعض
الظروف كما تعلمين.

أغيب للحظات:

- هو يحبني.. أكيد!

يعاود الصوت مجادلتي:

- أي حب هذا الذي يفرض عليك أن تعيشي
لياليه وحيدة باسمه و بانتظار دور بدأ يمل
انتظاره.

اثنان.. اثنان

- كم ستغيب؟
قال وهو يتأكد من بعض أشيائه ومن أنه لم
ينس شيئاً:

- عشرة أيام هي أكثر تقدير..
بصوت خافت قلت:

- وستكون معك؟
التفت إليّ محتضناً وجهي بكفيه:
- تعرفين أنك ستكونين معي في المرة الثانية.

اثنان.. اثنان.. اثنان

يا إلهي! أكاد أختنق. لماذا لا يتركني هذا العدد
ولو لمرة واحدة؟ أشعر وكأنني محاطة بآلاف
العصيّ المنثية بهيئة رقمي الذي قاسمني حياتي،
تلتف حول عنقي كأفاع تنفث سمومها، ساحقةً
عقلي وجسدي.

أتوجه لغسل وجهي بالماء البارد لأزيل عنه بعض
القهر الذي أشعر به ويصر على حفر أخاديه في
كل زاوية من زواياه، ولأغيب ذلك الصوت الذي بدأ
يزلزلني ويفقدني الثقة بنفسني.

اثنان..

قد يحتاج المرء إلى أكثر من حدث لينتبه للخيط
الذي يربطه بالأشياء ويجعله من بعد جزءاً منها.

اثنان..

أنا أو هي..
الخياران اللذان رغبت في أن أواجهك بهما،
فلم تسعفني شجاعتي وجرأتي خوفاً من أن أضيع
بين صمتك ولحظة قرارك.